العدل – خطبة لسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 20-5-1430

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، يقول الله جل جلاله: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).

أيها المسلم، القسط العدل بين الله جل وعلا أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقيم الناس بالعدل ليقيم العباد عدل الله في الأرض؛ فالعدل شعار عظيم خلق كريم، العدل خلق كريم، جاءت شرائع الله بالدعوة إليه، وجاءت في شريعتنا والترغيب فيه، وبيان علو منزلة أهله في الدنيا والآخرة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)، العدل خلق كريم، كل يدعو إليه، وكل يجعله شعار له ينادي به، ولكن هيهات لمن كان قوله حقا وعمله مطابقا لقوله، ومن كانت دعواه للعدل مجرد دعوى لا حقيقة لها هذا العدل إنما ينفعه من طبقه، وجعله في كل ميادين حياته سواء، علاقته بربه، علاقته بنفسه، علاقته بأسرته، علاقته بمجتمعه، علاقته في أعماله وما ولي من أعمال.

أيها المسلم، فالعدل مفهومه عام العدل مفهومه عام، وموضوعه متسع، والعدل وضع الشيء موضعه، والظلم ضده وضع الشيء في غير محله؛ فأعظم العدل وأقرر العدل عبادتك لله وحده لا شريك له، وإخلاصك الدين لله، وتعلق قلبك بالله حبا وخوفا ورجاء؛ لأن هذا هو العدل حقا، أن تضع العبادة موضعها؛ فالعبادة بكل أنواعها لا تليق إلا بالله الخالق الرازق النافع الضار المحيي المميت؛ فهو المستحق أن يعبد دون سواه: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)، نعم، إن المشرك أتى بأعظم الظلم وساوى الله الخالق الرازق النافع الضار من بيده الدنيا والآخرة، سواه بمخلوق فقير عاجز: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)؛ فجعلوا غير الخالق بمنزلة الخالق مخلوق ضعيف فقير بذاته لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، جعلوه معبودا يدعو له، ويرجو له، ويذبحون له، ويقربون القرابين إليه، ويهتفون باسمه بالشدائد، وتتعلق قلوبهم بهذه الخرافات والأكاذيب والأباطيل وصدق الله: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

أيها المسلم، وإن عدلك مع نفسك؛ فنفسك أمانة عندك تسعى في تزكيتها وتطهيرها والرفع من شأنها: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)، نفسك لا تحملها فوق طاقتها، ولا تعذرها لمن يضعف كيانها، ومن تعاطي أشياء محرمة أشياء محرمة من مأكول أو مشروب، أو تحملها مالا طاقة لها فيها، أو تسعى إلى إهلاك نفسك: (وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، (وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا).

أيها المسلم، العدل جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله في أمور عظيمة جد؛ فأولا: الحكم والتحاكم؛ فقد أمر الله حكام المسلمين بالعدل في حكمهم؛ فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)، وقال: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)، إذا فقضاة الأمة هم أمناء على ما ائتمنوا عليه، وهم إن قضوا بالعدل كانوا من أهل الخير والصلاح عدل بين الخصمين؛ فالقاضي الشرعي الموفق لا يعدل بين الخصمين في لحظه، وفي مجلسه، وفي كلامه

لا يطمع قوي في ظلمه، ولا ييأس ضعيف من عدله، بل هو يقضي بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يبالي أقريب حكم عليه أم بعيد؛ فلا يزحزحه عن عدله قرابة قريب، ولا صداقة صديق، ولا علاقة إنسان بأي أمر من الأمور، إنما أمامه العدل كتاب الله وسنة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولذا جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القضاة ثلاثة: " قاضيا في الجنة عرف الحق؛ فحكم به، وقاضيان في النار من عرف الحق؛ فحكم بخلافه، ومال به الهوى حتى حكم بخلاف الحق، وتذرع بأي وسيلة، وقاض حكم على جهل وضلال"، قال الله: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ).

أيها المسلم، كاتب الوثائق هو مؤتمن يجب أن يكون عدلا فيما يكتب، ولذا قال الله: (وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ)، أي بالإنصاف؛ فيستوفي الحقوق ويكتب كل حق كان في ذلك الموضع؛ فلا يخفي شيئا يكون في إخفائه خفاء للحق وتدليسا، بل يكتب كتابة عادلة متقيا الله فيها.

أيها المسلم، العدل في أسرتك؛ ففي زوجتك لابد من عدل لا سيما إن تعددت الزوجات؛ فإن العدل مطلوب في ذلك، والله يقول جل وعلا: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)؛ فواجب العدل بين الزوجات عند التعدد، وأن لا تظلم أخرى على حساب أخرى، عدل في النفقة، عدل في السكن، عدل في المبيت، عدل في الأمور الظاهرة، وأما أمور القلب فإلى الله شأنها، ولذا نبينا -صلى الله عليه وسلم- ضرب أروع المثل في تعامله مع زوجاته المتعددات تذكر عائشة أنه -صلى الله عليه وسلم- يمر على نسائه كلهن في اليوم، ولكن يمر مسلما وسائلا لكن لا يجلس إلا من عند هو حقها ليلة أو يوم، وكان إذا أراد أن يسافر أقرع بينهن؛ فمن خرجت لها القرعة سافر بها معه، صلوات الله وسلامه عليه، وكان يقول: "من كانت له امرأتان؛ فمال مع إحداهما دون الأخرى، جاء يوم القيامة وشقه مائل"، ذلك أنه ظلم وجار، والواجب العدل وتقوى الله في الأحوال كلها.

أيها المسلم، المؤدي للشهادة لا بد أن يكون عادلا في شهادته غير جائر، ولا ظالم، ولا مُخفي، والله يقول: (وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)؛ فمن الظلم كتمان الشهادة، ومن العدل الإتيان بها على الوجه المطلوب، قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ)، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)؛ فأدي الشهادة كما سمعت، وكما تحملتها، ولا تخفيها خوفا من أن يتأثر فلانا أو فلان، ولا تكتمها مراعاة للأشخاص، أدي الحق الواجب عليك، ديانة تدين الله بها؛ لتجني الحق وتدحض الباطل، وأقمها لله خالصا، هكذا المؤمن في تعامله.

أخي المسلم، أولادك بنين وبنات، العدل واجب فيما بينهم، لا يحملنك حب الأمهات على أن تظلم أولاد غيرها، ولا أن تحيف مع أولادها دون غيرها، لا بد أن تكون على طريق مستقيم عادل تعدل بين الأبناء والبنات، العدل حتى في الأقوال، وحتى في التعامل، وحتى في إظهار المودة، قال إبراهيم التيمي أحد التابعين: كانوا السلف يستحبون العدل بين الصغار حتى في القبل؛ فلو قبل واحد، لقبل آخر خوفا من أن يرى في نفسه ظلما من أبيه، وحذر -صلى الله عليه وسلم- من تفضيل بعض الأولاد على بعض ظلما وعدوانا لما أتاه بشير بن سعد يريد أن يلحن ابنه النعمان غلام يخصه به قال أكل ولد أعطيتهم ذلك قال: لا، قال: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم"، وقال له إني لا أشهد على جور، وقال له: أشهد على هذا غيري. كل ذلك حماية من تصدع بنيان الأسرة وإحداث العداوة والبغضاء بينهم فإن هذا التفضيل ظلم وعدوان يشعل نار الحقد والبغضاء بينهم، والله يقول: (وَ لا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ *إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ)؛ فلا يجوز تفضيل بعض الأولاد، سواء بعطية صريحة أو بحيلة مستوية تظهرها في قالب البيع والشراء والحقوق الثابتة، والله يعلم من قلبك خلاف ذلك، ولا تحرم البنات الميراث بأي وسيلة تعملها، بان توقف الكل حتى لا ينال البنات من التركة شيئا وتسعى في حرمانهن بأي وسيلة ممكنة، وتوزع في حياتك على الذكور وتحرم الإناث، وتفعل أفعال تخالف شرع الله، كل هذا ظلم وعدوان يجب أن يترفع المسلم عنه.

أيها المسلم، العدل واجب مع كل مسئول عما تحت يده، أن يحكم بالعدل بينهم، ولا يقف حجر عثرة أمام مستحق لحق، ولا يحمله ذلك أن يظلم أحد على حساب أحد، بل العدل واجب في كل الأحوال.

أيها المسلم، العدل مطلوب من المحققين، ومن يحققون في الأمور كلها، سواء في حوادث السيارات، سواء رجال المرور أو غيرهم لا بد من عدل وتقوى الله في التحقيقات كلها، ليكون التحقيق صادر عن صدق وأمانة، بعيد عن الكذب والغش والخيانة؛ فإن البعض قد يتساهل في الأمور، ويحمل المعتدى عليه التبعات، ويبرى المعتدي من كل شيء، ملاحظة لقرابة أو قبيلة أو نحو ذلك كل هذا مما جاءت الشريعة بالتحذير منه، وإبعاد المسلم عنه فإن المسلم مؤتمن على أموره كلها أن يقول الحق، ولو كان مرا أن يقول الحق ولو على نفسه.

أيها المسلم، وكما أمرنا بالعدل في الأفعال فإننا يجب علينا أن نحزم في أقوالنا والله يقول: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)، نعدل في أقوالنا؛ فنقول الحق ونبتعد عن الباطل، نقول الحق ونبتعد عن الباطل، لا يحملن محبة شخص أن نقول فيه ما ليس فيه، ولا بغضنا لشخص أن نقول فيه ما ليس فيه، ولذا قال الله: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)، عدل حتى مع خصومنا وحتى مع أعدائنا؛ فأعداؤنا وإن كرهناهم وآذيناهم، لكن العدل مطلوب منا في كل الأحوال، عدل فيما نكتب، وفيما ننشر، لقد كان البعض ربما يخرج عن العدل في أقواله؛ فإن ما يناقش قضية ما أو يتحدث عن جهات ما تراه يكتب ويقول وينشر ويخفي الحقائق ويبحث الحقائق ويتناسى الفضائل، وربما اصطاد في الماء العكر؛ فوجد ثغرة يظن أنه بها استطاع أن يناقش هذه الفئة أو هذه الجهة، ولكن قلبه يُخفي؛ فيتناسى كل فضيلة، ويتغافل عن كل حسنة، وكأن هذه الجهة أو هذه الفئة لا حسنة لها، وإنما هي السيئات التي تجسد، والأخطاء التي تكبر، وأما الفضائل والمحاسن فيتجاهلها هذا المخدوع، ولا يدري أنه خائن لأمانته؛ لأنه خرج عن العزل في القول الذي قال الله فيه: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)؛ فلنتق الله في أنفسنا، ولنتق الله في أحوالنا، ولنلزم العدل؛ فالعدل حق جاءت به شريعة الإسلام، ولا يمكن عدل إلا على منهج الإسلام الحق: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا *وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم لما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، كما سبق في العدل أن العدل خلق عظيم في علاقة المسلم بربه وبنفسه، وعلاقته في مجتمعه وأعماله وأحواله كلها؛ فلنعلم أيضا أن العدل مطلوب من إخواننا التجار، من إخواننا الباعة، الذين يتولون بيع السلع على المجتمع، هؤلاء واجب عليهم أن يعدلوا، وأن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يعلموا أن ما يرفعونه من أسعار السلع، التي إذا نظر إليها الإنسان نظرة تدقيق وتمحيص وجد فيها ظلما كثيرا وعدونا، ومجاوزة للحد ومخالفة للحق والشرع، إن نبينا -صلى الله عليه وسلم- امتنع عن تسعير السلع لما كان الأمر خارجا عن إرادة الناس، وأن أمراً جاء من غير مقصودهم، لكن إذا كان الغلاء نازعا تصرفات بعض تجارنا، وبعض الموردين والموردين للسلع،

وأن هذا الغلاء الشديد ناتج من جشع وطمع، ورغم ما سهل لهم من تسهيلات، وهيأ لهم من بعض الوسائل التي كانوا يتحملون عبأها وأخذ عنهم شطرا كبيرا، إلا أن ذلك لا نرى ذلك عملا في التحول، ونرى الجشع يزداد يوما بعد يوم؛ فالواجب على هؤلاء أن يتقوا الله في أنفسهم ونحن نقول العدل مطلوب والربح مطلوب ولا شك في ذلك، ولكن ربح بعدل ومنفعة بعدل وبيع بعدل والعدل مطلوب من كل أحد، إن الواجب على هذه الفئة أن يوقفوا عند حدهم، وإن الواجب تسعير السلع كلها تسعيرا دقيقا مراعا فيه ما دخلت عليهم، ومراعا فيه كل الأمور وإعطاء كل ذي حق حقه ولكن لا بد من عدل في الأمور أما أن يبقوا على هذا التنافس في رفع الأسعار من غير مبالاة ودعوى باطلة ودعاوى كاذبة فكثير منها عند التمحيص لا تجد له أصلا، ولكنه افتعال من تلقاء أنفسهم؛ فهؤلاء لو سعرت عليهم السلع، ووضع حد لكل متعد ومتجاوز، أن لا يتجاوز ما حد له بعد دراسة هذه السلع ومصدر وصولها إليهم ومعرفة تحمل جميع أعبائها إلى أن تصل، ثم يكون الربح على قدرا المعتاد مراع فيه مصالحهم. نعم، لكن لا بد من مراعاة مصالح الجميع، بلادنا موانئها مفتوحة جوا وبرا وبحرا لا ضرائب ولا مكوس عليهم ولا مضايقة عليهم؛ فلا بد أن نعرف لهذه النعمة قدرها، ولا بد أن يوقف هؤلاء عند حدهم؛ لأن الإسلام جاء بالعدل وترك أؤلئك يستغلون مصالح الناس بلا مبالاة لا شك أنه ظلم، وأن من العدل أن ينظر في الأمور ويوضع حد لهذه التجاوزات، حتى يكون الأمر واضحا جليا؛ فإن الله يقول: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)؛ فمن العدل أن يوقف كل مجاوز حده وأن يكون الأمر واضحا، وأن تكون الربح واضحا، أما أن يربحوا أرباحا، وربما أخفوا بعضها وربما عللوا بعلل كلها عند التمحيص لا تجد لها مبررا، وإنما هو الجشع الزائد، والتواطي على ظلم العباد هذا كله ظلم، والظلم ممنوع في شريعة الإسلام، وفق الله المسلمين في أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم كلها.

أيها المسلم، إن من الظلم أن تعق أباك وأمك، وإن من العدل أن تقابل إحسانهم السابق ومعروفهم وجميلهم الماضي ببر وإحسان ورفق وخدمة وقيام بالواجب، أسأل الله أن يرزق الجميع التمسك بشريعة الإسلام وتطبيقها في كل الميادين إنه على كل شيء قدير.

واعلموا -رحمكم الله-، أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ، شذ في النار.

وصلوا - رحمكم الله- على عبد الله ورسوله محمد امتثال لأمر ربكم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وارض اللهم عن خلفائه الراشدين الأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين،

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين واجعل اللهم هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم آمنا في أوطاننا و أصلح أأمتنا وولاة أمرنا، اللهم وفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين عبد الله بن عبدالعزيز لكل خير، اللهم أمده بعونك وتوفيقك وتأييدك، اللهم كن له عونا ونصيرا بكل ما أهمه، اللهم اجمع به كلمة الأمة ووحد به صفها على الخير والهدى، اللهم وفق ولي عهده سلطان بن عبدالعزيز و سدده في أقواله وأعماله واجعلهم جميعا أعوانا على البر والتقوى إنك على كل شيء قدير.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغ إلى حين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته قوة لنا

على طاعتك وبلاغ إلى حين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم سقيا رحمة لا سقيا بلاء ولا هدم ولا غرق، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.